مي مظفر

لحظة تتلون

ليت ترف اللحظة يدوم بضعة من الزمن . ليت صحوها يمتد مسافة تشبع العين . ولكنها اللحظة بالذات ذلك الزمن المبتور المتسابق لنهايته . شعرت بالعطش . منذ ساعتين ونحن نلوح في شوارع المدينة كاننا سفينة فقدت مؤشرها . ليتنا نقف عند منعطف الطريق . اريد ان اشرب . التفت نحوي قاطعا صمت المسافة :

ـ « وماذا بعد . النبات يحترق قبل اوانه . كان المطر شحيحا هذا العام » .

قط يهرب من أمامنا . كل ما على هذه الارض يرتجف فزعا . ليتنا نحط على راحة مكان ما . أكاد أموت عطشا .

قلت : « لشد ما يبدو الطريق طويلا » .

قال : « سينتهي كما انتهى غيره لنبدأ من جديد . هل ثمة ما هو أروع من البداية ؟ »

انظر في السماء فلا أرى غير اتقادات تملأ العالم وتمطره بألف علامة استفهام . كل ومضة خاطرة ولغز جديد . أين مكاني ؟ السماء غابة مفعمة بالعجائب . داكنة كقلب الانسان . وأنا زمن يتجول . أتلك هي اللعبة ؟ هل عليّ أن أكون كشفا لعالم منسي . عطشي كاللحظة المتوجة بالقلق . ربما يكون الطريق طويلا وأنا لست غير مسافة تتداني لاقتحام النهاية .

مرة أخرى يصلني صوته هادما جدار الصمت :

ـ « ترى ماذا يخبرنا الراديو » .

قلت : ـ « لا شيء اكثر من المعتاد . يهرب الناس الى الشوارع. يقاتلون ويتمردون ويتعرون باسم الحرية التي يفتقدون » .

ـ « أعشق حريتي » .

هه .. انه يعيش حريته بضلال .. بغرور . لا أرى الحرية غير فلك دائر في محور المستحيل . انه يبحث عن حريته .. وأنا هنا متجمدة في مقعد السيارة الامامي يأسرني انسانه الممتد وراء عينيّ .. الساقط في ظلال نفسي . احمله كما أحمل شبحي فوق الجدران والطرقات .

قلت بحدة من يصحو غفلة ..

ـ أية حرية تريد ؟.. عمّ تتحدث ؟

أود لو أمتلكه . أمتلك فيه الدكنة الفائضة في بحار مجهولة . أود لو امد يدي الآن وانزع من صدره العذاب الملون بألف احتمال. لو ابحر في ضميره وأرى ما تحفظه لحظاته المدمرة . لشد ما أغبط حريته . ذلك اللفظ السائب المتبختر على شفاهه . انه يتحدث عن ماضيه بكل انطلاق .. يتاوه له بكل انطلاق وينحدر وراء مأساته المرسومة على جدران العدم .

قلت : « أنت تتحدث من شرفة الحرية معلنا ان العالم يبدأ وينتهي في لحظة . لو كنت مثلك .. آه لو ان اللحظة زمني لما خشيتها » .

قال : ـ « لانني في زمن لا يعرف الاستقرار ، فانني لحظة متوهجة . كوني معي ولتكن اللحظة زمنك » .

ـ « اي زمن هذا الذي يمنحني حرية اللحظة وأنا منذ ساعات ابحث عن قدح ماء في زاوية من زوايا هذه المدينة الكبيرة دون جدوى ؟ انك لا تحس العطش المطمور في الاعماق وتعدو في الارض كالنهر الجاري تتفرع في الف ساقية . وأنا نهر سدت دوني المنافذ وهجرتني الامطار » .

كنا نقترب من مركز المدينة . العطش يطبق على زوري وقد أوشك المارة ان يدركوا اننا نقترف خطيئة الحب وهي لحظة يخفت توهجها شيئا فشيئا .

قال : ـ « كوني زمني . كوني فيّ وخارجي . ضعيني على صفحة الايام وستجدين انك وصلت شاطيء الحرية » .

ـ « ذلك هو المستحيل » .

ـ « كلمة لا وجود لها عندي كالحرية عندك » .

كيف أكون له وللاشياء الاخرى ؟! هذا ما يجب ان يكون .

ربت على يدي مسرعا كطير يخطف قشه ويهرب ..

قال : ـ « ارضخي لهداتك » .

ـ « وأية هداة تأتي من لحظات تشنق نفسها بعبث الانسان ؟ »

لو يدري أي زمن يحملني الآن الى العالم الذي طالما تخيلته قصيدة واحدة نسيجها التواتر المنغوم من الداخل . والامنية المتوارثة من سنوات الحرمان . وفي خضمّ الانفعالات المتوالدة كاللحظات تستفزني الغيبوبة وهي تطمس في النفس وتثير جوا سحريا ملغوما بشقاء العالم الذي أحب ، واود لو أبكي عند عتبة الارض المقدسة كما بكيت من قبل امام لوحة روبنز حين وجدت فيها حركة الانسان والنهر والشجر مرصودة في وقع منسجم حزين . فالشقاء مرسوم على قارعة الوجوه والسموات والطرقات . انه حزن واحد في كل زمان ومكان .

الى الفنار الوحيد

يمر بك الليل عريان ،
تحني حواليك قامتها العاصفه
وأنت مكانك لا تتزحزح
أحلامنا فيك صامدة واقفه
جذورك في العين .
في القلب ...
شمسك زاحفة .. زاحفه
تمر الدرافيل حولك عمياء ،
والريح ساكنة واجفه
لانك آمالنا ، والبقية من شمسنا ،
من شراييننا النازفه

●

وكالارض باق
وكالفجر باق
تسمرت في وجه ليل المغول الطويل
تضيء ظلام الجياع
وتزرع في دربهم باسقات النخيل
فدنياك من مرفأ لا العواصف تستطيع اطفاءه ،
نسفه مستحيل

ولا سحب الليل تدرك أغواره ،
أين ؟ من أين يعلو الشعاع الجميل ؟
فدنياك ...
سوف تظل هوى عمرنا
حلمنا ...
وهوى كل جيل

●

يحاصرك الموج والليل عبر جميع الجهات
وتسطو عليك جميع البحار
ولكن وجهك لا يتغير
وضوء المنارة لا يتغير
وفي لحظة يختفي « الحوت »
في فزع تتراجع أمواجهم ، ويموت الحصار
وتبقى لنا راية ، للجياع سفينه
وتبقى لها .. للحياة الفنار
لإنك أنت الحياة وأنت المدينه
وأنت الغد البكر
أنت النهار

صنعاء ـ اليمن

عبد العزيز المقالح

قلت : « العالم قصيدتي » .

« أود لو اضمك لكني لا اجد اليك سبيلا » .

« انا نفسي لم اعد أعرف أين انا في روح هذا العالم الملتاع أتلمس وجودي على الارض ولا وجود لي في شيء ملموس . ربما كنت في قلبك . في معصم النجمة الطافية . في أرض لا يعرف غير الله حدودها » .

ـ « اصبحت مخيفة . فقد احالك العطش الى وهم موحش ».

ـ « وانا أخشى الحركة الغامضة في كياني . كانني اتحرك بدافع سحري . لكانني اسير على ارض غيمة . فقدت مكاني على الارض وبين يديك . لست غير طموح يتأرجح في بقاع المغيب الازرق . لا بد لي أن اجد لي موطنا غير هذا » .

ـ « اللحظة رائعـــة . والجمال صفة زائلة . كوني للزمـــن الحاضر » .

ـ « الجمال لحظة شقاء سعيدة تمتد بلا حدود . والويل مـــن لحظة موحشة يولد فيها الجمال ساطانا متوجا بالماس او نهرا يجـوب الصحراء كالسيف نابتا في الليل » .

ـ « كوني معي وستجدين الجمال الذي تعشقين وتخشين » .

ـ « انك كالموت . في كل مرة القـــاك اتهيب اللقاء . ينفلت وجودك الزئبقي في كل زمن . واجدني احار اين ابحث عن مكـانك . أتراك اللاوجود الذي تراه في كياني . الوهم المنصب في الحقيقة ؟ يخيـــل لي انني اذ امد يدي نحوك لا المس غير زعيق الريح البـاردة يمرغ قامة المكان ويغرقها بجوع أزرق » .

ـ « اني أفقدك .. أشدك اليّ فلا أجد غير العذاب » .

كانت المدينة نائمة . والعطش لا يورث غير الموت . فقدت الخيط الاخير الذي يشدني الى الله ..

صرخ فجاة وهو يضرب مقود السيارة :

ـ « لو انني الخالق لتمسكت بالحاضر ولمحوت من الانســـان كل تامل في الغد . أنا لا أرى فيك غير حضور حي » .

ـ « وانا كلما المسك أجد الفناء كامنا تحت جلدك . وتفزعنـــي الحقيقة ، فانا أدرك معنى السراب وما يعني لهاث الانسان في صحراء عطشه . ولانني أشم فيك رائحة موت مبكر فانني أود أن أغتال مصيري في هذه اللحظة » .

ـ « اتتركيننـي !» .

ـ « أريد أن أمارس حريتي .. وأختار مأساتي ما دامت امـــرا محتما . انك الصدفة التي ليست لي . وانت الزمان الذي لا مكان لي في دقات ساعته . اني أريد وجودا ثابتا ولا أريد ان اكون زمنا عابرا على صفحة الرزنامة .. انني ملك زمن لا ينتهي » .

أوقف السيارة . هبطت . كنت أحس الارض صلبة تحت قدمي. كان واقفا ينتظر اشارتي . أحسست وانا اخرج من عالمـه انني اتنفس ريحا طيبة . هل تراني أتواجه مع الحرية ؟! ربما كانت الحرية لحظة اختيار مصير . وامتناعي عنه هو المجد الذي أكسبه الآن . ولانـني الحرية فاني انتصار على لحظة ضعف .

حين التفت الى الخلف وجدت اني قد تجاوزته بمسافة كبيرة . لقد اصبح جزءا من الماضي . والطريق مفتوح كالشمس .

بغداد